نماذج من

المدن الإسلامية

بقلم

ربيع عبد الرؤوف الزواوي

غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين

مكة المكرمة — المدينة المنورة

القدس — القيروان

قرطبة — سمرقند

غرناطة — بغداد

طليطلة — شيراز

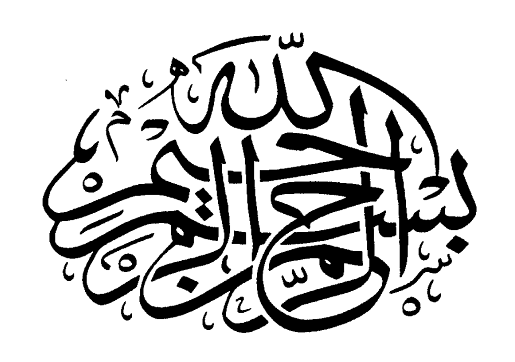
بخارى — صنعاء

حماة — أشبيلية

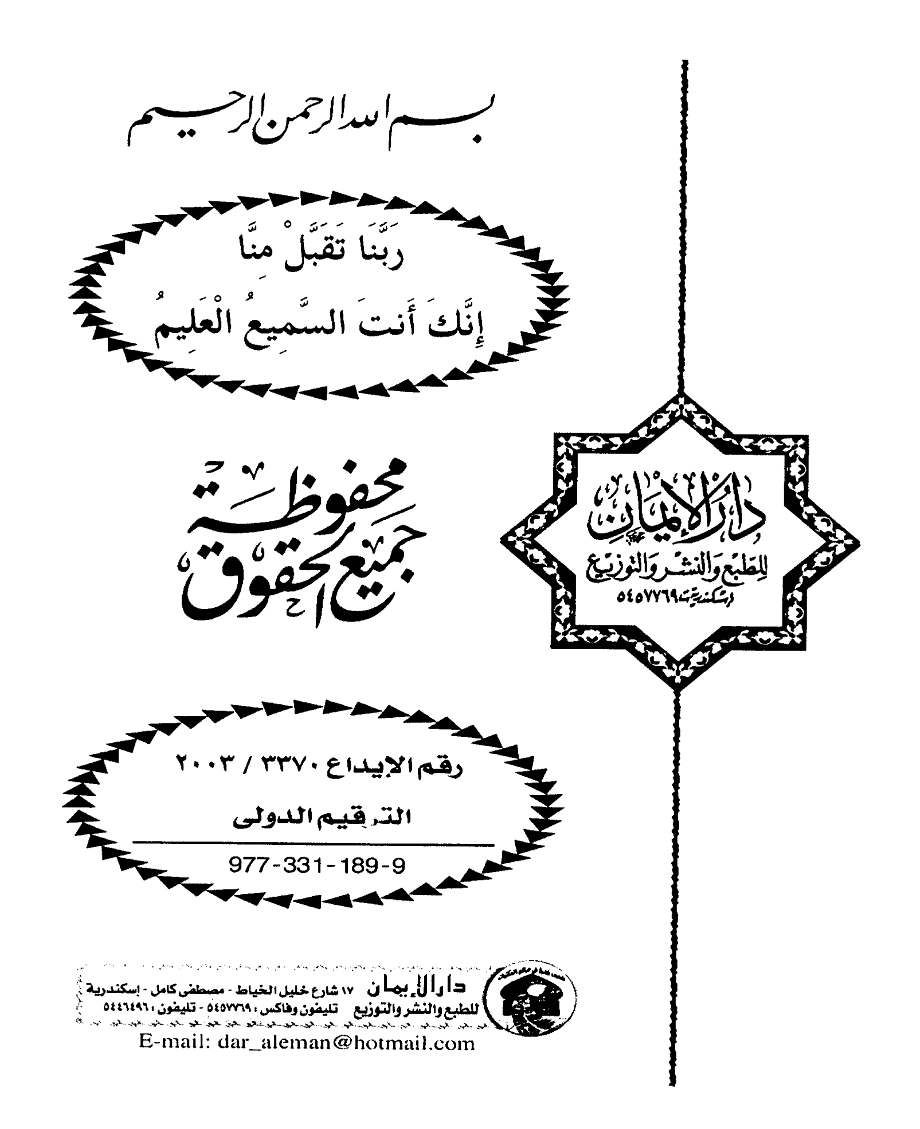
أصفهان — حلب







نماذج من
المدن الإسلامية



بسم الله الرحمن الرحيم

رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا
إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ

دار الإيمان
للطبع والنشر والتوزيع
إسكندرية ت ٥٤٥٧٧٦٩

رقم الايداع ٣٣٧٠ / ٢٠٠٣

الترقيم الدولى

977-331-189-9

دار الإيمان ١٧ شارع خليل الخياط - مصطفى كامل - إسكندرية
للطبع والنشر والتوزيع تليفون وفاكس ، ٥٤٥٧٧٦٩ - تليفون ، ٥٤٤٦٤٩٦

E-mail: dar_aleman@hotmail.com

المقدمة :

الحمد لله ربِّ العالمين ، والصلاة والسّلام على من بعثه الله رحمة للعالمين ، وعلى آله وصحبه أجمعين ، وبعد :

فقدا نبعث في صدر الإسلام رجال يفخر بهم الزمان ، استطاعوا –كما أسَّسوا النفوس الكبار والعباقرة العظام – أن يأسِّسوا البلاد والمدن والحصون والقلاع التي يفخر بها المسلمون حتى اليوم .

وهدفنا من ذكر هذه المدن أن نذكِّر ذلك القطاع العريض من المجتمعات على اختلافها ، والذين لا يعرفون إلا « لندن » و« باريس » و« نيويورك » بهذه المدن التي أسّسها المسلمون الأوائل ، بقدر ما أتيح لهم آنذاك – من قدرة – قوةً ومنعةً ونظاماً وعمارةً ، لا تزال أصابعها تؤثر لليوم في دنيا الناس .

أردنـا أن يعرف الناس « القيروان » و « سمرقند » و « حلب » و « بغداد » و « قرطبة » وغيرها ، إن مؤسِّس القيروان ﷺ بعد أن فرغ من تأسيسها جمع الصالحين وظل يدعو : اللهم املأها علماً وصلاحاً وتقاً وصالحين عاملين . والناس يردّدون : آمين . بمثل هذه النية الصالحة أَسَّس سلفنا الصالح ﷺ بلادهم ، في حين تجد تلك البلاد التي تنمو نمواً حثيثاً بمر الدهور ، إنما هو أمر طبيعي لتطور الزمن ، فما أفخر بلاد الغرب اليوم إلا تراكم لجهود غير مرتبة ، لم تُبنى على نيات صالحة كما هو الحال في بلادنا .

ومدننا الإسلامية في الأندلس خير شاهد على ما نقول والتي لا تزال شاخصة في سماء « أسبانيا » بعض معالمها حتى اليوم رغم ما أصابها من

تشويه ، وطمس مُتَعَمَّد وغير مُتعمَّد من عوادي الزمان .

ثم ليطالع القارئ الكريم ذلك التأريخ المختصر لتلك المدن العظيمة ، وليشاهد بعيني عقله اللبيب الفارق الواضح بين الإسلام وغيره ، عندما يكون مهيمنًا حاكمًا في تلك المدن .

وهذه النماذج التي تجدها بين يديك في هذا الكتاب إنما جاءت على سبيل التدليل والإشارة لا على سبيل الحصر والعدّ ، واللبيب تكفيه الإشارة .

والله تعالى وحده المسئول أن يحوز القبول والإعجاب ، وبه أعتصم وإليه ألتجأ ، وهو حسبنا ونِعم الوكيل .

وصلى الله وسلّم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

كتبه

ربيع عبد الرءوف الزواوي

غفر الله له ولوالديه وللمسلمين

[١] مكة المكرمة

■ تقع مكة المكرمة في إقليم الحجاز على بعد ٧٠ كليو متر شرق مدينة جدة بالمملكة العربية السعودية على خط ٢٧ ٢١ شمالاً ، وخط طول ٤٩ ٣٩ شرقاً .

■ قيل سُميت بمكة لأنها تمكّ الذنوب ، وقيل : لأن الماء بها قليل .

■ ذكرها القرآن بعدة أسماء : مكة ، بكة ، القرية ، أم القرى ، البلد الأمين .

■ ترتبط نشأة مكة بقصة سيدنا إبراهيم الخليل وابنه إسماعيل عليهما السلام عندما أمر الله تعالى إبراهيم أن يذهب بابنه إسماعيل إلى الوادي الذي أقيمت فيه مكة بعد ذلك ﴿ **رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ** ﴾ [إبراهيم : ٣٧] .

■ جاءت قبيلة جرهم وسكنت هذا الوادي بعد أن فجَر الله ماء زمزم لإسماعيل وأمه ومن هنا كانت نشأة مكة .

■ تزوج إسماعيل عليه السلام من قبيلة جرهم وزحف العمران إلى مكة واتسعت وزاعت شهرتها بين المدن .

■ أمر الله إبراهيم الخليل أن يقيم قواعد المسجد الحرام بها ، وبذلك أصبحت مكة مكاناً مقدساً زادها الله تقديساً وتشريفاً .

■ أمر الله إبراهيم الخليل أن يؤذن في الناس بالحج فأتى الناس من كل

فج يطوفون بها .

■ استمرت قبيلة جرهم في خدمة الكعبة ورعاية زوارها ، ثم حلت قبيلة خزاعة مكانها ثم انتقلت الخدمة والرعاية إلى قريش حتى وصلت إلى قصي بن كلاب الجد الرابع للنبي ﷺ .

■ أسّس قُصي دار الندوة ، بالقرب من الكعبة للتشاور في الأمور المهمة .

■ حدث في عام ٥٧١م أن أراد أبرهة ملك الحبشة هدم الكعبة فساق إلى مكة جيشاً عظيماً يتقدمه فيل ضخم فهزمه الله وأرسل عليه جيشاً من الطيور ترمي الجيش بحصى صغير فأبيد الجيش عن آخره ، وفي هذا العام ولد الرسول ﷺ .

■ كانت بمكة مولد الرسول ﷺ وبها بعث واستمر ١٣ عاماً بها يدعو قريش ومن جاورهم من القبائل إلى الإسلام .

■ هاجر منها رسول الله ﷺ إلى المدينة ثم عاد بعد ٨ أعوام ففتحها وأصبحت بذلك لمكة مكانة عظيمة في قلوب المسلمين جميعاً إلى يومنا هذا .

■ كانت لمكة قبل الإسلام شهرة ثقافية وعلمية وتجارية عظيمة ، واختصت سوق عكاظ بمكة بنظام جعلها أحسن أسواق العرب إذا اتسع لجميع قبائل العرب .

■ ولم تكن عكاظ سوقاً للتجارة فحسب بل كانت سوقاً للخطابة والشعر أيضاً .

■ ولمكة في الإسلام مكانة لا تدانيها مكانة ، فبها الكعبة وحولها

بيت الله ، والصلاة في هذا المسجد بمائة ألف صلاة في غيره إلا مسجد الرسول ﷺ فهي بمائة صلاة .

■ وبمكة معالم الحج ومناسكه كلها ، ففي مكة جبل عرفات الذي يشهد أهم أركان الحج ، ومنى التي يمكث الحجاج بها أياماً في فريضة الحج .

■ وفي مكة رابطة العالم الإسلامي .

■ شهدت مكة في عهد الحكومة السعودية اتساعاً وتنظيماً وعدة طرق حديثه وأنفاقاً تيسر السير بها ، ولقد شهد المسجد الحرام في عهد الملك فهد بن عبد العزيز أقصى اتساع له وبُنى بأحدث وسائل العمارة الإسلامية فصار يتسع في المواسم لمليوني مصلٍ به .

[٢] المدينة المنورة

- ثاني الحرمين ، وأول عاصمة للدولة الإسلامية ، وبها مسجد الرسول ﷺ وفي ثراها قبره ﷺ .
- تقع المدينة في إقليم الحجاز على خط عرض ٢٨ ٢٤ درجة شمالا وخط طول ٣٦ ٣٩ درجة شرقاً .
- كانت المدينة قبل الإسلام تسمى يثرب نسبة إلى يثرب بن قائد بن عبيل من عرب العمالقة للذين ملكوا البحرين والحجاز ومصر .
- للمدينة أسماء كثيرة منها : طيبة ، طابة ، العذراء ، القاصمة ، دار الهجرة .
- وكان للمدينة موقع فريد ، فقد كانت القوافل التجارية بين اليمن والشام تمر بها محملة بالخيرات .
- وكان اليهود قد هاجروا إليها فارين من الاضطهاد البابلي ، والروماني وكانت قبائل بني قريظة وبني النضير وبني قينقاع أول القبائل التي هاجرت إلى المدينة من اليهود .
- ثم نزل الأوس والخزرج ، وهما قبيلتان قحطانيتان جاءَتا من سبأ في اليمن قبل حادثة سيل العرم ، وخراب سد مأرب وسكنتا المدينة .
- ولما هاجر الرسول ﷺ انتهت الحروب التي كانت دائماً تقوم بين الأوس والخزرج بسبب إيقاع اليهود بينهم ، وآخى الرسول ﷺ بين الأوس

والخزرج « الذين عرفوا بالأنصار » والمهاجرين ، وأبرم معاهدة مع اليهود .

■ وكان أول عمل عمله رسول الله ﷺ هو بناء المسجد ، وأصبحت المدينة ذات دور بارز في تاريخ المسلمين حيث أصبحت المدينة بقيادة الرسول ﷺ ، ذات كيان سياسي وعسكري ، وكانت هي عاصمة الدولة الإسلامية الأولى .

■ ظلت المدينة كذلك بعد موت النبي ﷺ مقراً للخلافة الإسلامية في عهد الخلفاء الثلاثة الأُوَل ، وذلك حتى منتصف رجب عام ٣٦هـ ، ثم انتقلت عاصمة الخلاصة إلى الكوفة في عهد عليّ بن أبي طالب ثم تحولت العاصمة في عهد معاوية إلى دمشق مع احتفاظ المدينة بمكانتها الدينية .

■ **اشتهر بالمدينة مجموعة من العلماء من أشهرهم الإمام مالك إمام دار الهجرة وفقهاء المدينة السبعة وهم :**

- سعيد بن المسيب .
- عروة بن الزبير .
- القاسم بن محمد .
- أبو بكر بن عبد الرحمن .
- خارجة بن زيد بن ثابت .
- عُبيد الله بن عبد الله بن عتبه بن مسعود .
- سليمان بن يسار .

■ كما اشتهر فيها من القراء الإمام نافع .

■ ويوجد بالمدينة مسجد الرسول ﷺ ومسجد قباء وجبل أُحد ومقابر


شهداء أُحد والبقيع ، ومسجد الميقات بذي الحليفة .

■ مر مسجد الرسول ﷺ بعدة تطورات وتجديدات آخرها ما قامت به حكومة خادم الحرمين الملك فهد بن عبد العزيز حيث تم توسعة الحرم النبوي ليسع أكثر من مليوني مصلٍّ في المواسم .

[٣] القدس

■ يقول الله تعالى عن المسجد الأقصى : ﴿ الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ ﴾ [الإسراء : ١] وما حوله هي مدينة القدس .

■ تقع مدينة القدس على خط طول ٣٥ درجة ودائرة عرض ٣١ درجة .

■ تعد مدينة القدس من أقدم مدن الأرض ، وترجع نشأتها إلى سنة ٣٠٠٠ ق . م .

■ بها المسجد الأقصى الذي يعد من أقدم المساجد بعد المسجد الحرام ، فقد روى البخاري وغيره أن النبي ﷺ سئل : أي مسجد وضع في الأرض أولاً ؟ فقال المسجد الحرام . فقيل : ثم ماذا ؟ قال : المسجد الأقصى . قيل : كم بينهما ؟ قال : أربعون عاماً .

■ دخل الفتح الإسلامي القدس بعد هزيمة الروم في معركة اليرموك فأصبح الطريق مفتوحاً إلى بيت المقدس ، فطلب أبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه من الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن يأتي إلى المدينة ، لأن سكانها يأبون التسليم إلا إذا حضر خليفة المسلمين شخصياً لتسلم المدينة ، فذهب عمر رضي الله عنه إلى بيت المقدس سنة (١٥ هـ / ٦٣٦ م) وأعطى الأمان لأهلها ، وتعهد لهم بأن تُصان أرواحهم وأموالهم وكنائسهم ، وبألا يسمح لليهود بالعيش بينهم ، ومنح عمر رضي الله عنه سكان المدينة الحرية الدينية مقابل دفع الجزية ، ورفض أن يصلّي في كنيسة القيامة حتى لا يقلده الناس في هذا ، ثم ذهب رضي الله عنه إلى موقع المسجد الأقصى فأزال بيده ما كان على الصخرة

من أقذار وبنى مسجداً في الزاوية الجنوبية .

■ وللمسجد الأقصى في الإسلام مكانة عظيمة ، فقد كان أولى القبلتين ، فقد صلّى إليه ﷺ سبعة عشر شهراً ثم اتجه جهة المسجد الحرام .

■ ومن المسجد الأقصى عُرج برسول الله ﷺ إلى السماء بعد أن أُسري به ليلاً من المسجد الحرام إليه وصل بالأنبياء جميعاً فيه قبل رحلة العروج .

■ وعلى مرّ العصور الإسلامية أظهر الأمراء والخلفاء المسلمون اهتماماً عظيماً بهذه المدينة المباركة ، ففي عهد بني أمية بنى عبد الملك بن مروان قبة الصخرة المشرفة عام (٧٢هـ / ٦٩١م) وأقام الوليد بن عبد الملك المسجد بعد ذلك بسنوات قلائل .

■ وواصل الخلفاء العباسيون الاهتمام بالقدس حتى ضعفت الدولة الإسلامية واحتل الصليبيون المسجد الأقصى قرابة ١٠٠ عام حتى طهّره صلاح الدي الأيوبي – رحمه الله – .

■ ثم نالت القدس عناية عظيمة في ظل الدولة العثمانية وظلت القدس آمنه حتى ضعفت الدولة العثمانية وسقطت الخلافة الإسلامية ودخل اليهود القدس ، ولا تزال القدس تحت الاحتلال الصهيوني حتى اليوم ، نسأل الله جلّ وعلا أن يخلّصها من أيديهم ويطهرها من رجسهم .

[٤] القاهرة

■ تقع مدينة القاهرة على ضفتي النيل على خط طول ٦َ ٣٠ شرقاً وخط طول ٢٦َ ٣١ْ شمالاً .

■ يعود تاريخ مدينة القاهرة إلى الفتح الإسلامي لمصر على يد الصحابي الجليل عمرو بن العاص ﷺ عام ٢١ هـ ، ولقد كان من هدي المسلمين في فتوحاتهم أن يأسسوا في الأقطار التي يفتحونها عواصم جديدة يختارون موقعها بما يتفق ومصلحة الإسلام .

■ فقد أسس عمرو بن العاص مدينة الفسطاط شمال حصن بابليون حيث عسكرت قوات المسلمين للمرة الأولى .

■ ولما انتقلت الخلافة إلى بني العباس أسسوا حاضرة أخرى جديدة لدولتهم الناشئة إلى الشمال الشرقي من الفسطاط عرفت باسم الحمراء القصوى .

■ ثم شيّد الفضل بن صالح مدينة العسكر ، وبمرور الأيام اتصلت العسكر بالفسطاط .

■ ثم أسس أحمد بن طولون مدينة القطائع عام ٢٥٦هـ متأثراً في تخطيطها بمدينة سامراء .

■ ثم استولي الفاطميون على مصر فأسس جوهر الصقلي - قائد جيوش المعز - مدينة القاهرة عام ٣٥٩ هـ ، وبنى حولها سوراً من اللَّبِن على شكل مربع وطول كل ضلع من أضلاعه ١٢٠٠ ياردة على مساحة تبلغ ٣٤٠ فداناً .

■ تميزت القاهرة منذ إنشائها بجمال مبانيها ، فقد تناوب حكام الفاطميين والأيوبيين والمماليك تعميرها ، فكانت على أحسن ما يكون .

■ وظلّت القاهرة على مرّ العصور في التوسع والبناء لا سيما في عصر السلطان الناصر صلاح الدين الأيوبي .

■ ومن معالم القاهرة جامع عمرو بن العاص والمسجد الأزهر ، ولقد اشتهرت القاهرة على مرّ العصور بالعديد من المساجد ، فهي أول مدينة يدخلها الإسلام في أفريقيا ، وكان الاهتمام بإنشاء المساجد بها متزايداً لدرجة أنه أُطلق عليها مدينة الألف مئذنة .

■ كما أُنشأ بها العديد من الأسواق والمستشفيات والحدائق والمكتبات والمدارس القديمة لا سيما في عصر صلاح الدين الأيوبي .

■ كما برز بالقاهرة العديد من الشخصيات العلمية في مختلف المجالات ، ففي العلوم الشرعية اشتهر الإمام الشافعي صاحب أحد أكبر المذاهب الفقهية عند أهل السُنة ، والليث بن سعد إمام أهل مصر ، وأبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله مؤرخ من أهل العلم والحديث .

■ كما برز من علماء اللغة جلال الدين السيوطي الذين برز كذلك في علم الحديث والفقه والتفسير وعلوم القرآن ، وابن منظور صاحب معجم لسان العرب والزبيدي صاحب معجم تاج العروس والمقريزي وابن هشام وابن حجر وغيرهم .

■ كما برز من الأطباء داود الأنطاكي ، وموفق الدين أبو نصر المشهور بابن العين الزربي .

■ وظهر بها كذلك من الرياضيين وفي الهندسة ابن الهيثم عالم الفيزياء والبصريات ، وابن يونس من الفلكيين .

[٥] دمشق

■ تقع دمشق على خط طول ٣٧َ ٣٠ْ درجة شرقاً وخط عرض ٣٣َ ٣٠ْ درجة شمالاً .

■ عاصمة الجمهورية السورية .

■ عرفت دمشق على مر العصور بكثرة الأنهار وجريان الماء في قنواتها .

■ كانت دمشق في بادئ أمرها مدينة زراعية صغيرة في المنطقة التي يرويها نهر بردي، ونظراً لموقعها المتميز كمركز تجاري انتشرت الأسواق بها.

■ وقد كانت دمشق موجودة في الألف الثالثة قبل الميلاد كحاضرة مزدهره وكمركز للمملكة الآرامية ، فهي من أقدم مدن الأرض المسكونة .

■ وقد ساعد منذ القدم موقعها عند ملتقى الطرق المؤدية إلى العراق وشبه الجزيرة العربية على أن تصبح مركزاً تجارياً مهماً .

■ دخل الفتح الإسلامي دمشق على يد خالد بن الوليد وأبي عبيدة ابن الجراح رضي الله عنهما .

■ ثم جعلها معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما عاصمة للخلافة الأموية واستمرت دمشق هكذا ، إلى أن سقطت الدولة الأموية ، فصارت في عهد الخلافة العباسية ولاية تابعة لها ، وسكنها الخليفة العباسي المتوكل فترة قصيرة من الزمان .

■ مرت دمشق في أوقات عصيبة من تاريخها حتى استرجعها البطل

نور الدين محمود عام (٥٤٩هـ / ١١٥٤م) ففتح فيها عهداً جديداً من الرخاء والقوة .

■ بلغت دمشق أزهر أيامها في عهد صلاح الدين الأيوبي .

■ انتقلت بعد ذلك دمشق إلى سابق عهدها فأصبحت ولاية مملوكية ثم ولاية عثمانية ، وقد اهتم بها العثمانيون لأهميتها الدينية والتجارية .

■ عرفت دمشق منذ العصور الإسلامية الأولى بأنها مدينة المدارس لكثرة المدارس بها حتى أنها وصلت في عهد صلاح الدين الأيوبي نحو عشرين مدرسة كالمدارس الكبرى ، كالمدرسة العادلية والمدرسة الظاهرية والمدرسة الجمقمية ، والمدرسة الرواحية والمدرسة الصلاحية والمدرسة الأسدية والمدرسة العصرونية والمدرسة العزيزية وغير ذلك .

■ كما اشتهر بدمشق مجموعة من المكتبات ومن أشهرها مكتبة المدرسة العادلية .

■ كما تميزت دمشق قديماً بالمستشفيات التعليمية والمدارس الطبية .

■ وخلال العصور الإسلامية اشتهر في دمشق العديد من العلماء مثل الحافظ عبد العزيز بن أحمد التميمي ، والحافظ أبو زُرعة الذي كان من أعيان المحدثين وشيخ الإسلام ابن تيمية وابن عساكر ، وأبي شامه وابن كثير وابن مالك ، وابن الشاطر ، والراصد وابن البيطار وابن النفيس .

■ ومن أشهر مساجدها المسجد الأموي ومن أشهر معالمها وآثارها قلعة دمشق .

[٦] القيروان

■ تقع القيروان في تونس على بعد ١٥٦ كم من العاصمة تونس .

■ وكلمة القيروان كلمة فارسية دخلت إلى العربية وتعني مكان السلاح ومحط الجيش أو استراحة القافلة وموضع اجتماع الناس في الحرب .

■ قام بإنشاء القيروان عقبة بن نافع ﷺ عام ٥٠هـ ، وكان هدفه من بنائها أن يستقر بها المسلمون ، حيث كان يخشى إن رجع المسلمون عن أهل أفريقية أن يعودوا إلى دينهم .

■ اختار عقبة بن نافع موقعها على أساس استراتيجي واضح ، فقد قال لأصحابه بعد الفتح الإسلامي لبلاد المغرب : « إن أهل هذه البلاد قوم لا خلاق لهم ، إذا عضّهم السيف أسلموا ، وإذا رجع المسلمون عنهم عادوا إلى عاداتهم ودينهم ، ولست أرى نزول المسلمين بين أظهرهم رأياً ، وقد رأيت أن أبني ها هنا مدينة يسكنها المسلمون » فاستصوب أصحابه رأيه .

■ كما يعتبر إنشاء مدينة القيروان بداية تاريخ الحضارة العربية الإسلامية في المغرب العربي ، فلقد كانت مدينة القيروان تلعب دورين هامين في آن واحد ، هما : الجهاد والدعوة ، فبينما كانت الجيوش تخرج منها للغزو والفتح ، كان الفقهاء يخرجون منها لينتشروا بين البلاد يعلّمون العربية وينشرون الإسلام .

■ ومما يجدر ذكره أن البربر عندما رأوا عقبة بن نافع ﷺ وهو ينشيء القيروان بنفسه فتأثروا بشخصيته الدينية ، وبما كانوا يرون عليه من

التفاني في سبيل الإسلام ، فدخلت جماعات كبيرة منهم الإسلام على يديه ، وانضمت إلى القوات المحاربة ، كما كان لهذه المدينة منزلة دينية عظيمة في نفوس المسلمين ، وكانوا يعتبرونها مدينة مقدسة ولا يدخلها غير المسلمين .

■ ويُعد مسجد القيروان الذي بناه عقبة بن نافع عند إنشاء المدينة من أهم معالمها عبر التاريخ ، ويعتبر من أقدم مساجد المغرب الإسلامي والمصدر الأول الذي اقُتبست منه العمارة المغربية والأندلسية عناصرها الزخرفية والمعمارية ، كما كان هذا المسجد ميداناً للحلقات الدينية والعلمية واللغوية التي ضمت نخبة من أكبر علماء ذلك العصر .

■ كما كانت القيروان أولى المراكز العلمية في المغرب يليها قرطبة في الأندلس ثم فاس في المغرب الأقصى .

■ ولقد كان للقيروان دور كبير في نشر وتعليم الدين وعلومه بحكم ما عُلّق على هذه المدينة من آمال في هداية الناس وجلبهم إلى أفريقية .

■ ومما يذكر من اهتمام عقبة بن نافع بالقيروان وحفاوته بها ، أنه بعد أن انتهى من بنائها جمع وجوه أصحابه وأهل العسكر ، فدار بهم حول مدينة القيروان ، وأقبل يدعو لها ويقول في دعائه : « اللهم املأها علماً وفقهاً ، واعمرها بالمطيعين والعابدين ، واجعلها عزاً لدينك ، وذلاً لمن كفر بك ، وأعز بها الإسلام » .

■ وفي عهد الخليفة الأموي الصالح عمر بن العزيز (٩٩هـ–١٠١هـ) أراد تثقيف أهل المغرب وتعليمهم أمر دينهم فجعل من مدينة القيروان مركزاً للبعثة العلمية المكونة من عشرة علماء من التابعين فأسلهم إلى

افريقية حيث انقطعوا إلى تعليم ساكني القيروان أمور الدين .

■ ومن أعلام القيروان الإمام سحنون بن سعيد تلميذ الإمام مالك ومؤلف كتاب المدونة الذي كان له دور كبير في تدوين المذهب المالكي ، والإمام أبي زيد القيرواني ، ويحيي بن سلامة البصري ومن علماء الطب اشتهرت أسرة ابن الجزار .

■ كما أنشئت بالقيروان المكتبات العامة بالجوامع والمدارس ، ثم اتسعت مدينة القيروان حتى صارت مع تقدم الزمن من أشهر بلاد المغرب العربي .

[٧] استانبول

- مدينة من أعظم مدن تركيا الحالية .
- يقارب عدد سكانها ٤ مليون نسمة .
- وتعتبر استانبول من أكبر الثغور البحرية ، وموقعها استراتيجي للغاية ، حيث أنها همزة الوصل بين قارتي آسيا وأوروبا .
- كانت استانبول قديماً مدينة صغيرة تسمى « بيزنطة » ثم استولى عليها الأمير الروماني قسطنطين الأول طمعاً في موقعها الجغرافي الممتاز وأعلنها عاصمة له عام ٣٣٠م ، عرفت بعد ذلك باسم القسطنطينية نسبة إلى هذا الإمبراطور .
- أقام قسطنطين حولها سوراً عظيماً حصيناً وظلّت القسطنطينية ١١٠٠ عاماً عاصمة للامبراطورية الرومانية .
- وفي العصور الأولى للإسلام كانت هناك محاولات عديدة لفتح هذه المدينة ، وهذا الاهتمام من المسلمين بهذه المدينة رغبة منهم في تحقيق بشارة النبي ﷺ حيث قال : « لتفتحن القسطنطينية ، فلنعم الأمير أميرها ، ولنعم الجيش ذلك الجيش » .
- وكانت أول محاولة لذلك حصار القسطنطينية عام (٣٤هـ / ٦٥٤م) في عهد الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضي الله عنه ، حيث أرسل معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما على رأس جيش كبير لحصارها وفتحها ، غير

أنه عاد دون أن يتمكن من ذلك بسبب الأسوار المنيعة التي كانت حول القسطنطينية .

■ ثم تلتها محاولات أخرى عديدة كان أهمها محاولتين ؛ إحداهما كانت في عهد معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما ، والتي توفي فيها الصحابي الجليل أبو أيوب الأنصاري رضي الله عنه الذي دُفن عند أسوار القسطنطينية ، أما المحاولة الأخري المهمة فكانت في عهد سليمان بن عبد الملك حيث سيَّر جيشاً مكوناً من مائة وعشرين ألف مقاتل ، وما يقرب من مائة قطعة بحرية تجاه القسطنطينية لحصارها ، وقد لاقى ذلك الجيش الكثير من العنت والمشقة بسبب البرد ، فحال ذلك دون فتحها ، ثم توفي الخليفة سليمان بن عبد الملك وتولى الخلافة عمر بن عبد العزيز – رحمه الله – فأمر بعودة الجند خوفاً عليهم من الهلاك .

■ ظلّت القسطنطينية ممتنعة على الفاتحين حتى قامت الدولة العثمانية ، فحاول العثمانيون فتحها ، فكانت هناك محاولات عديدة من السلاطين العثمانيين ، كان أولها تلك المحاولة التي كانت على عهد السلطان بايزيد الأول ، ولكن حال دون نجاحها هجوم للصليبيين على الدولة العثمانية ، واستغلالهم لتلك الفرصة ، وكذلك مواجهة الخطر المغولي الذي كان يتقدم لمهاجمة الدولة العثمانية من جهة الشرق .

■ وفي عهد السلطان العظيم محمد الثاني بن مراد الثاني حاول العثمانيون فتح القسطنطينية بجيش مكون من ٢٦٥ ألف مقاتل تصحبهم المدفعية الثقيلة ، وكان في مقدمة الجيش الشيوخ والعلماء وكبار رجال الدولة متوجهين إلى القسطنطينية يتقدم الجميع السلطان محمد الثاني ،

وتحت وابل من النيران والسهام اقتحم الجنود - على بركة الله - أسوار المدينة ، وتدفقت جموعهم إليها كالسيل الجارف ودخلها السلطان محمد الثاني فاتحاً في يوم الثلاثاء (٢٠ من جمادى الأولى عام ٨٥٧هـ / ٢٩ من مايو ١٤٥٣م) وبعدها لقب السلطان من يومها بالفاتح حتى غلب اللّقب على اسمه فصار لا يُعرف إلا به ، ولما دخل المدينة ترجّل عن فرسه ، وسجد شكراً لله ، ثم توجه إلى كنيسة « آيا صوفيا » وأمر بتحويلها إلى مسجد .

■ ومنذ ذلك التاريخ أصبحت القسطنطينية عاصمة للدولة العثمانية ومقراً للخلافة ، وأطلق عليها السلطان اسم « إسلام بول » أي : دار الإسلام ، ثم حُرفت إلى استانبول .

■ أظهر السلطان محمد الفاتح تسامحاً عالياً في معاملته لسكان المدينة ، وأعطى النصارى حريتهم ، وأمر بعودة اليونانيين الذين غادروا المدينة أثناء الحصار .

■ استمر الاهتمام باستانبول التي سرعان ما أصبحت العاصمة الجديدة والمركز الحضاري والفكري الأول في العالم الإسلامي وذلك بفضل تسابق السلاطين العثمانين على تعميرها ، وجلب أمهر الصناع والفنيين إليها من مختلف أنحاء البلاد .

■ بعد هزيمة الدولة العثمانية في الحرب العالمية الأولى ، قام الحلفاء باحتلال استانبول في الفترة من عام (١٣٣٧هـ / ١٩١٣م) إلى عام (١٣٤١هـ / ١٩٢٢م) ثم قام أتاتورك بنقل العاصمة من استانبول إلى أنقره بعد أن ظلت استانبول عاصمة الخلافة العثمانية خمسة قرون من الزمان .

[٨] قُرْطُبة

■ مدينة قرطبة مدينة أندلسية ، تقع في الغرب الأسباني .

■ تمتد قرطبة على الضفة اليمنى لنهر الوادي الكبير .

■ وقرطبة مدينة إيبيرية قديمة البناء ، كان اسمها « إيبيري بحت » وترجم باللغة العربية إلى قرطبة .

■ تأسست قرطبة في العصر الروماني عام (١٥٢ ق . م) على نهر الوادي الكبير وذاعت شهرتها منذ الصراع بين قرطاجنة وروما .

■ استولى عليها لوثيو الروماني فاتخذها الرومان عاصمة لأسبانيا السفلى عام ١٦٩ ق . م ، ومن هذا التاريخ دخلت قرطبة في سلك الإمبراطورية الرومانية .

■ وفي القرن الأول الميلادي استطاع قائد الامبراطور يوليوس قيصر أن يستولي عليها عام ٤٥م بعد موقعة « مندا » وبعد فترة أصبحت قرطبة واحدة من أربعة مراكز قضائية في أسبانيا الجنوبية بجانب قادس وإشبيلية وإستجة .

■ وعندما غزا الفندال والسّواف والألان شبه جزيرة إيبيريا عام ٤٠٩م، ظلت قرطبة خاضعة للبيزنطيين حتى نجح ملك القوط الغربيين في الاستيلاء عليها عام (٥٦٨ م) .

■ ثم دخل الإسلام قرطبة عام (٩٣هـ / ٧١١م) بقيادة طارق بن زياد الذي كان يقود جيوش المسلمين لفتح الأندلس ، وكان فتح قرطبة

ميسوراً حيث أرسل طارق بن زياد قائده مغيث الرومي إلى قرطبة في سبعمائة فارس ، فأقبلوا نحو المدينة ليلاً ونجحوا في دخول أسوار المدينة وفتح أبوابها لجيوش المسلمين ، ففتحت قرطبة ، وأصبحت حاضرة أسبانيا الإسلامية .

■ استقر ولاة الأندلس بها قرابة ثلاثة قرون حتى سقطت الخلافة في الأندلس .

■ وكان السمح بن مالك الخولاني هو الذي عمرها ورفعها إلى مصاف الحواضر الكبري .

■ جعل عبد الرحمن الداخل قرطبة مركزاً للعلم والثقافة والفنون والآداب في أوروبا كلها ، وقام بدعوة الفقهاء والعلماء والفلاسفة والشعراء إليها .

■ وقد وصلت قرطبة في عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر وابنه الحاكم من بعده مستوى من الرخاء والثراء لم تبلغه من قبل ، فنافست قرطبة آنذاك بغداد عاصمة العباسين والقسطنطينية عاصمة البيزنطيين والقاهرة عاصمة الفاطميين ، ووصل سفراء البلاط القرطبي بلاد بعيدة جداً كالهند والصين ، وتقاطر على قرطبة مبعوثون ومندوبون عن أباطرة البيزنطيين وألمانيا وملوك كل من فرنسا وإيطاليا والممالك الأخرى فى أوروبا وشمال أسبانيا ، وزعماء البربر ورؤساء القبائل الأفريقية .

■ ظلت قرطبة تنعم بهذا التفوق على سائر مدن أسبانيا زمناً إلى أن سقطت الخلافة الأموية عام (٤٠٤هـ - ١٠١٣م) .

■ كانت جامعة قرطبة التي أسسها عبد الرحمن الثالث بجوار الجامع

الكبير من أشهر المؤسسات الثقافية في العالم المتحضر ، ولقد وصلت الحركة العلمية في قرطبة ذروتها في زمن الحكم المستنصر الذي كان ملماً بكثير من فروع العلم والمعرفة حتى لقب بالخليفة العالم .

■ اشتهر في قرطبة كثير من العلماء المسلمين في شتى مجالات المعرفة مثل ابن حزم والقرطبي وابن رشد والزهراوي وابن وافد وابن جلجل والغافقي ، والإدريسي والعباس بن فرناس وغيرهم .

[٩] الإسكندرية

- تقع مدينة الإسكندرية على خط عرض ٣١ْ شمالاً وخط طول ٣١ْ شرقًا .
- ميناء مصر الأول وثاني أكبر مدنها ، وأهم مرافيء البحر المتوسط تقصده السفن من جميع أنحاء العالم .
- وقد بنى الاسكندر المقدوني الإسكندرية عام ٣٣٢ ق . م وكانت عاصمة مصر قبل الفتح الإسلامي .
- دخلها الإسلام في عهد الخليفة الراشد عمر بن الخطاب ﵁ بقيادة عمرو بن العاص ﵁ عام ٢٠ هـ .
- ظلت الإسكندرية بعد الفتح الإسلامي محتفظة بتخطيطها القديم من شوارع مستقيمة تتقاطع فيما بينها عمودياً على شكل رقعة الشطرنج .
- ثم شهدت الإسكندرية عهداً جديداً من الرخاء والازدهار في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري – التاسع الميلادي .
- وفي عهد الفاطميين أصبحت الإسكندرية قاعدة لأسطولهم في البحر الأبيض المتوسط .
- وفي العصر الأيوبي اهتم صلاح الدين بالإسكندرية اهتماماً عظيماً فزودها بالمدارس وأماكن الحراسة وعمل على تحصينها وترميم أسوارها .
- ثم جاءت دولة المماليك والذي يعتبر عصرهم العصر الذهبي

للإسكندرية ، فقد بلغت فيه ذروة تقدمها العمراني لاهتمام الملوك والسلاطين بها .

■ وفي عصر دولة المماليك الشراكسة نالت الإسكندرية نصيباً وافراً من عناية السلاطين الشراكسة وأولهم السلطان برقوق والأشرف برسباي .

■ ثم انكمشت الأهمية الاقتصادية لميناء الإسكندرية باكتشاف البرتغاليين طريق رأس الرجاء الصالح عام ٨٩٢ هـ .

■ اشتهر في الإسكندرية العديد من العلماء في شتى فروع العلم المختلفة قديماً قبل الفتح الإسلامي وبعده ، مثل يحيى النحوي المعروف بـ « غرما طيقوس » وأريبا سيوس ، وماغنس ، وفوليس المعروف بالقوابلي والكناني وبليطان السكندري ، ومريا نوس ، والعلامة ابن أبي مطر وابن عبّاد الإسكندراني وابن الفحّام المقرئ وابن الحمشي وابن عطاء الله السكندري ، وابن القاسم النويري ، وابن المنير ، وتاج الدين الفاكهاني واللخمي وغيرهم .

[١٠] سمرقند

■ تعتبر سمرقند من أقدم بلاد العالم .

■ تقع سمرقند في جمهورية أوزبكستان .

■ وكلمة « قند » إيرانية تعني : مدينة ، ولم تُفسر كلمة « سمر » للآن تفسيراً مقنعاً .

■ ولقد كانت سمرقند عاصمة بلاد ما وراءا النهر لمدة خمسة قرون منذ عهد السامانيين إلى عهد التيموريين ، كما كانت سمرقند وبخارى أهم حاضرتين فيما وراء النهر .

■ عرف موقع سمرقند بأنه جنة بحق ومناخها قاري كالمناخ السائد في آسيا الوسطى .

■ عدد سكان سمرقند حوالي نصف مليون نسمة .

■ كما تعتبر سمرقند الآن من أهم المدن نشاطاً في أوزبكستان في مجال الزراعة والتجارة والصناعة .

■ دُمرت سمرقند عبر تاريخها ثلاث مرات أولها كان عام ٣٢٩ ق . م على يد الإسكندر وكان اسمها وقتذاك « مرقندا » وثانيها في عهد جنكيز خان عام (٦١٧ هـ / ١٢٢٠م) ، وثالثها كان على أيدي الأوزبك في منتصف القرن التاسع الهجري – الخامس عشر الميلادي ، وكانت قبائل الأوزبك وقتذاك لم تعتنق الإسلام بعد .

■ بدأ الفتح الإسلامي لمناطق ما وراء النهر « نهر جيحون » منذ عام (٤٦هـ) ثم عُين قتيبة بن مسلم والياً على خُراسان ، وكان حاكم سمرقند يسمى طرخون .

■ في عام (٩١هـ / ٧٠٩ م) تصالح طرخون مع قتيبة بن مسلم على أن يؤدي الجزية للمسلمين ويقدم لهم الرهائن ، غير أن ذلك أغضب رعاياه فخلعوه وعُين إخشيد غورك مكانه ، ولكن قتيبة بن مسلم أجبره على التسليم في عام (٩٣هـ / ٧١٢ م) بعد أن حاصر سمرقند وقتاً طويلاً .

■ ظلت سمرقند وبخارى قاعدة للفتوح الإسلامية الأخرى ونشر الإسلام في البلاد .

■ مرت سمرقند بفترات من الضعف بعد ذلك بعد أن تقدم الإسلام منها إلى الصين والهند وروسيا ذاتها ، حتى إن الأراضي الروسية ظلّت خاضعة للسيطرة ثلاثة قرون ، وكان دوق موسكو يدفع الجزية سنوياً لأمير بخارى ، ولكن قياصرة روسيا سرعان ما استردوا هذه المناطق الإسلامية وسقط أول حصن إسلامي وهو حصن « آق مسجد » في بلاد ما وراء النهر بيد الروس عام ١٨٥٢م .

■ وبينما كانت الدولة العثمانية في منتصف القرن السادس عشر تهدد أوروبا وتزحف إلى أفريقيا وآسيا ، كانت روسيا القيصرية تهاجم سمرقند وغيرها من تلك البلاد الإسلامية ، وحين قام النظام الشيوعي عام (١٣٤٢ هـ / ١٩٢٣م) في روسيا صارت سمرقند ضمن جمهوريات الاتحاد السوفيتي السابق حتى انهياره عام (١٤١٢هـ / ١٩٩١م) فصارت

سمرقند إحدى مدن جمهورية أوزبكستان بعد الإستقلال .

▪ ومن أشهر ما يميز سمرقند من الصناعات القديمة صناعة الورق والمنسوجات والسجاد .

▪ كما تميزت سمرقند على مر العصور بالعديد من المدارس التي تدل على مدى اهتمام أهلها بالعلم .

▪ كما اشتهر في سمرقند جماعة من العلماء منهم محمد بن عدي السمرقندي وأبو منصور الماتريدي وأبو الحسن الميداني ومنهم أحمد بن عمر أبو بكر السمرقندي ومحمد بن مسعود السمرقندي صاحب التفسير المعروف بتفسير العياشي وعلاء الدين السمرقندي ونجيب الدين السمرقندي وشمس الدين السمرقندي وأبو القاسم الليثي السمرقندي وقاضي زاده الرومي .

▪ كما يوجد بسمرقند قبر الإمام البخاري – رحمه الله – صاحب أصح كتاب من كتب الحديث .

[١١] غرناطة

■ تقع مدينة غرناطة جنوب مدينة « مدريد » عاصمة أسبانيا الحالية .

■ ومناخ غرناطة غاية في اللطف والجمال ومنه اشتق اسمها حيث تعني كلمة غرناطة « رمنته » الحسن والجمال .

■ تطل غرناطة على البحر المتوسط من الجنوب ، وعلى نهر شنيل كذلك .

■ تعلو غرناطة قرابة ٦٦٩ متراً فوق سطح البحر وهذا سر جمال مناخها .

■ ولما دخل المسلمون غرناطة بعد الفتح الإسلامي للأندلس تم تأسيسها في موضع مدينة رومانية صغيرة تعرف باسم « أليبيري » ثم أصبحت عاصمة فيما بعد لبني الأحمر .

■ كانت غرناطة مركزاً إسلامياً علمياً كبيراً ، وتعتبر واحدة من حلقات الحضارة الإسلامية في الأندلس مع المدن الأخرى مثل قرطبة وبلنسية ومجريط وأشبيلة وطليطلة وغيرها .

■ كما كانت غرناطة قبلة الأنظار للطلاب الذين يفدون من الأقطار المجاورة سواء الإسلامية وغير الإسلامية فعرف فيها المدرسة اليوسفية والمدرسة النصرية .

■ وقد بدأت النهضة العلمية في الأندلس ، مع الفلكي الرياضي أبي القاسم المجريطي عام (٣٩٨ هـ – ١٠٠٨م) الذي أنشأ مدرسة

رياضية معروفة .

■ ولما استقر بنو الأحمر في غرناطة وفي الشمال الشرقي منها عند موقع الحمراء في مكان مرتفع فوضعوا أساس « قصبة الحمراء » أو قصر الحمراء ، وكانت الحمراء قلعة متواضعة حتى تولّى باديس بن حبوس مُلك غرناطة فاتخذها قاعدة للملكة ، وأنشأ سوراً ضخماً حول التل ، وبعد تطور مع الزمن أصبحت فيما بعد حصن غرناطة المنيع ، ويرجع سبب تسمية قصر الحمراء بهذا الاسم لأن لون حجارتها حمراء .

■ ومما يميز غرناطة كذلك مساجدها ، حيث يعد مسجد غرناطة الجامع من أبدع الجوامع وأحسنها منظراً ، واشتهر استخدام الرخام في مساجدها ، وكذلك البيمارستانات مثل بيمارستان غرناطة أو بيمارستان المدينة .

■ اشتهر في غرناطة جماعة من العلماء ونبغ فيها عدد منهم في جميع أنواع المعرفة ، فمن أشهر علماء غرناطة الإمام الشاطبي ولسان الدين الخطيب والسرقسطي وابن زمرك ومحمد بن الرّقاح وأبو يحيى بن رضوان وأبو عبد الله الفحام وابن السرّاح ويحيى بن هزيل التجيبي والشقوري وابن زهر ومن النساء حفصة بنت الحاج وحمدونه بنت زياد واختها زينب .

[١٢] بغداد

■ ترتبط نشأة بغداد بتاريخ الخلافة العباسية ؛ فقد أنشأها الخليفة أبو جعفر المنصور في عام ١٤٥هـ على الضفة اليمنى من نهر دجلة ، وكانت بغداد عند إنشائها مدورة ولها أربعة أبواب وعمل لها سورين ثم بنى قصره والجامع في وسطها .

■ تقع بغداد على خط طول ٧٥ درجة غرباً وخط عرض ٣٤ درجة شمالاً .

■ كانت بغداد أشهر المدن ثقافة واجتماعاً وسياسة في القرن الرابع الهجري ، ولقد بلغت في عهد الخليفة هارون الرشيد قمة مجدها ، واتسعت اتساعاً عظيماً،حتى صارت بغداد كأنها أربعون مدينة متلاصقة .

■ عرفت بغداد على مدار التاريخ بمكانة علمية متميزة ، فقد أنشأ الخليفة هارون الرشيد بيت الحكمة وأتمة ابنه المأمون في القرن الرابع الهجري ، وهي عبارة عن دار علم ومكتبة كان يقام فيها مجالس العلم ، حيث يجتمع فيها عدد كبير من العلماء والباحثين بغرض الترجمة والمناظرات العلمية ، وكان الخلفاء الرشيد والمأمون يشاركان مشاركة فعلية في هذه المجالس .

■ ولقد ساهمت هذه المكتبة مساهمة فعَّالة في تطوير علوم الطب والكيمياء والفلك ، حيث كانت التجارب العلمية والبحوث العلمية تجرى على قدم وساق ، وكان الخلفاء والأثرياء يبذلون جهوداً مشكورة في جمع

الكتب النادرة ويُسهّلون على أهل العلم الانتفاع بها ، كما أنشأ الرشيد في قصره مكاناً خاصاً جمع فيه الكثير من الكتب النادرة العربية وغير العربية ، ثم جاء المأمون من بعده فزاد في ثروة هذه الخزانة حتى حوت ألوفاً من المجلدات ، كما ظهرت في بغداد أيضاً خزانات أخرى للكتب ، إلا أن المغول وطغيان دجلة والحريق الهائل الذي وقع في بغداد أتى على كثير من هذه الكتب وضاع الكثير منها .

■ تميزت بغداد بكثرة العلماء والفقهاء فيها ، مثل الإمام أحمد بن حنبل ، وأبي إسحاق الشيرازي ، وأبي حامد الغّزالي ، والشاشي ، وابن الجوزي ، والجاحظ ، والفَرّاء ، والزجّاج ، والزجّاجي، وقطرب، والسيرافي ، وابن السكيت ، وياقوت الحموي ، والبلازدي ، وابن خرداذبة ، والمسعودي ، والكندي، والصوفي ، والفزاري ، والصاغاني ، والخوارزمي ، والطوسي ، والكرجي ، والخيام النيسابوري ، وابن رِبن الطبري، والرازي ، وابن ملكا والأهوازي ، وابن العين الزربي ، وابن اللبّاد وغيرهم .

■ إلا أنّ بغداد مرّت بأهوال وفتن عظيمة ، استمرت فترة غير قصيرة وعم الاضطراب الشديد الذي أضر بعمرانها وظلت فترة تموج بالفتن ، وضعف السلطان الخلافة العباسية وتدخل غير العباسيين في قيادة دفة الحكم .

■ وفي عام ٦٥٦هـ نزل هولاكو على بغداد وحاصرها واستمرت الحرب وحدثت فتنة داخلية انتهت باستيلاء التتار على بغداد وقتل الخليفة المعتصم وأولاده وحاشيته واستبيحت حرمات بغداد مدة طويلة ، وأفلت شمس الخلافة في بغداد بعد أن استمرت خمسة قرون ، فكانت كارثة

على العالم الإسلامي كله ، ثم غزاها تيمورلنك أكثر من مرة كان آخرها عام ٨٠٣هـ ففتحها عنوة وفتك بأهلها فتكاً شديداً واستحل جنده المدينة أسبوعاً اقترفوا فيه من المنكرات ما تقشعر منه الجلود .

■ وفي عام ٩١٤هـ غزاها الشاه إسماعيل الصفوي فظلت تحت يد الصفويين حتى انتزعها العثمانيون عام ٩٤١هـ ، ثم عاد إليها الصّفويون عام ١٠٣٣هـ وبقيت بأيديهم حتى استردها السلطان مراد الرابع العثماني عام ١٠٤٨ هـ .

■ أدت تلك الأحداث إلى انحطاط بغداد وضعفها وتأخرها في كل نواحي الثقافة التي عرفت بها بغداد حقبة طويلة من الزمن .

■ وفي عام ١٣٣٥هـ ، سقطت بغداد تحت يد الإنجليز عام ١٣٣٥هـ ، وفي أواخر عام ١٩٢٠هـ اندلعت الثورة العراقية ، وانتزع الإنجليز من مجلس عصبة الأمم صك الانتداب الذي جاء فيه الاعتراف بالعراق دولة مستقلة بشرط قبولها المشورة الإدارية من قبل دولة منتدبه ، إلى أن تصبح قادرة على القيام بنفسها .

■ أصبحت بغداد عاصمة للعراق ولا تزال كذلك حتى الآن ، نسأل الله أن يحميها ويقصم ظهر قاصديها بالسوء ، إنه ولي ذلك والقادر عليه .



[١٣] طليطلة

■ مدنية طليطلة مدينة أندلسية عريقة في القدم ، تقع على بعد ٧٥ كم من مدريد عاصمة أسبانيا الحالية .

■ واسم طليطلة في الحقيقة هو تعريب لاسمها اللاتيني « **Tholedoth** » .

■ ومدينة طليطلة بنيت على الأرجح من كلام المؤرخين في زمن الإغريق قبل أن يدخلها الرومان .

■ دخلها الرومان منذ عام ١٩٠ قبل الميلاد ، فازدهرت في عصرهم وحصونها بالأسوار .

■ ثم دخلها القوط الغربيون وأطلقوا عليها اسم « المدينة الملكية » وبينما كان آخر ملوك القوط مشغولاً بإخماد ثورة قام بها أهالي مدينة بنبلونة ببلاد البشكنس وصلته أنباء الفتح الإسلامي ونزول جيوش المسلمين بجبل طارق عام ٧١٢م فعظم عليه الأمر ، واتجه بجنوده جنوباً لملاقاة المسلمين بقيادة القائد البطل طارق بن زياد ، والتقى الجيشان في موقعة وادي لكة ، وانتصر المسلمون انتصاراً ساحقاً على جيوش القوط ، ثم تقدم طارق بن زياد بجيوشه نحو الشمال فاتحاً شذونة ومدور وقرمونه وإستجة ، وانتهى طارق فيما بعد إلى طليطلة دار مملكة القوط فوجدها خالية قد فرّ عنها أهلها ، فاستولى عليها وغنم فيها غنائم كثيرة .

■ اعتنى ملوك بني أمية بطليطلة واهتموا بها اهتماماً خاصًا وفرضوا عليها سلطانهم من قرطبة عاصمة الأندلس في عصرهم ثم مرت بعدة فتن

وأحداث فيما بعد .

■ وعندما اشتعلت نيران الفتنة الكبرى عقب سقوط الخلافة بقرطبة ، وقامت دول ملوك الطوائف ، استقل بنو ذي النون بطليطلة فارتفع شأنهم فيها .

■ ثم دخل ألفونسو السادس ملك قشتالة طليطلة في صفر ٤٨٧هـ / ١٠٨٥م ، فسقطت بذلك طليطلة في أيدي الصليبيين ، وقد أحدث سقوط طليطلة في أيدي الصليبيين دوياً هائلاً في أنحاء العالم الإسلامي ، وقرعت نواقيس الخطر تنذر ملوك الإسلام في الأندلس بسوء المصير ، فأحسّوا بضعفهم ، وتنبهوا بعد فوات الأوان إلى نهايتهم الوشيكة ، وكان سقوط طليطلة نذيراً بالنهاية المحتومة لدولة الإسلام في الأندلس .

■ بُذلت جهود ومحاولات من المرابطين والموحدين لاسترداد طليطلة لكن جهودهم باءت بالفشل .

■ أسهمت طليطلة في الحركة الفكرية من الحضارة الإسلامية إسهاماً بارزاً ، وكانت مركزاً علمياً هاماً في الأندلس ، وبرز فيها جماعة من العلماء النابهين الذين كانت لهم إسهامات في علوم شتى ، وكان الفقه من العلوم التي حظيت دراستها بقسط وافر من العناية والاهتمام على نحو لافت للنظر ، وذلك لكثرة من تتلمذ من أهل طليطلة على الإمام مالك بن أنس والظروف التي كانت تساعد على ذلك الاهتمام .

■ ظهر جماعة من العلماء في طليطلة لامعة أسماؤهم كأبي عثمان سعيد بن أبي هند الذي لقبه الإمام مالك نفسه بحكيم الأندلس والذي تولّى قضاء طليطلة زمناً ، وسعيد بن عبدوس وأبي هند الأصبحي وعيسى

بن دينار الغافقي ومحمد بن وضاح وابن عيشون الأزدي ، وابن جوشن الأنصاري وابن شنطير وابن ميمون وابن مسعود الطليطلي وابن الأعرج وسليمان بن مسرور وابن القشاري ويحيى بن ثابت الفهري وأبي بكر الأموي وابن الشيخ وأبي عمر الجهني ومحبوب الخشني وأبي إسحاق الفهمي وابن سميق وجودي بن عثمان وابن دمج والقويدسي والصيدلاني والزرقاني وابن البغونش وأبي المطرف اللخمي وابن الخياط والتميمي الطليطلي وغيرهم .

■ وهكذا كانت الحياة الفكرية في طليطلة في عصرها الإسلامي خصبة وثرية واشتملت على اتجاهات علمية متنوعة ما بين علوم دبنية وأخرى عقلية فضلاً عن آدب وفنون شتى ، وقد شارك في تلك الحياة الفكرية أجيال متعاقبة من العلماء والأدباء والشعراء وغيرهم ، حتى إذا سقطت طليطلة في أيدي نصارى الأسبان نزح كثير من هؤلاء عن طليطلة إلى غيرها من مدن الأندلس واستمروا في عطائهم الفكري .

[١٤] شيراز

■ تقع شيراز الآن في دولة إيران الحالية ، جنوب طهران بحوالي ٩٣٥كم .

■ سميت شيراز بهذا الإسم نسبة إلى شيراز بن طهمورث .

■ وشيراز مدينة تقع في سهل خصب مترامي الأطراف جنوب أصفهان يكسوه العشب ، وتحتضنه تلال قائمة ، يكاد يخفى هذا الوادي عن الأنظار الحدائق العامرة بأشجار السرو الداكنة ، وفيها تتنافس الورود وأشجار الأرجوان الكثيفة مع جموع الزهور .

■ وتعتبر شيراز من ألطف مدن إيران مناخاً واعتدالاً وطيب هواء وكثرة جنائن ودور وعمارة وغلال وفواكة وخضار وكروم وورود وعيون ، ويزيد عدد سكانها على نصف مليون .

■ وشيراز مدينة إسلامية قديمة كانت قصبة بلاد فارس ، وهي من المدن التي استجدت عمارتها واختطاطها في الإسلام ، وأول من تولّى عمارتها محمد بن القاسم بن أبي عقيل الثقفي ابن عم الحجاج بن يوسف الثقفي .

■ وبعد الفتح الإسلامي ظلّت شيراز المركز العسكري والإداري لإقليم فارس منذ عام ٦٥٠ م .

■ وقد غزاها أبو موسى الأشعري وعثمان بن أبي العاص رضي الله عنهما في

أواخر خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

■ وفي القرون الأولى للإسلام كان لا يزال فيها هيكلان من هياكل النار التي كان يعبدها الفرس قبل الإسلام ، يسمى أحدهما كارنبان والآخر هرمز .

■ وفي زمن خلافة عمر بن عبد العزيز أظهر رغبة شديدة في توسيع المؤسسات الخيرية ، كما بنى كثيراً من المساجد .

■ واهتم الخلفاء جميعاً بشيراز .

■ تعرضت شيراز فيما بعد لاضطرابات وحروب وتعكّر صفوها لاسيما عندما دخلها تيمورلنك فتحول إقليم فارس كله إلى مقاطعة مهملة في الامبراطورية التيمورية .

■ وفي عام ١٦٦٨م هطلت الأمطار بغزارة ، ووافق ذلك وقت ذوبان الثلوج على الجبال مما سبب فيضاناً عارماً تضررت منه شيراز ضرراً شديداً ، فقد تبعه وباء جعل المدينة في حالة سيئة .

■ وفي عام ١١٣٧ هـ / ١٧٢٥م دخلها الأفغانيون ثم طردهم الصَّفويون عنها فيما بعد .

■ ثم أصبحت شيراز عاصمة بلاد فارس في عهد كريم خان زند ، وعند موته عام ١١٩٣هـ / ١٧٧٩م كانت المدينة قد استعادت كثيراً من مجدها السابق ، وبعد ١٥ عاماً تولى الحكم أغا محمد شاه مؤسس العائلة القاجارية أعداء بني زند ، واتخذ طهران عاصمة له بدلاً من شيراز .

■ حفلت شيراز بمجموعة من المعالم الحضارية كالمساجد الفخمة والبيمارستانات والحدائق والقصور والقناطر ، كما عرفت ببعض الصناعات

التقليدية كصناعة السجاد الذي يعد من أجود أنواع السجاد في العالم .

■ ولشيراز مكانة علمية وثقافية وينسب إليها جماعة من أهل العلم والفضل والأدب والشعر والفقه والرياسة ، منهم القاضي أبو العباس ابن سريج ، وأبو إسحاق الشيرازي والحسن بن عثمان الزيادي الشيرازي وابن خفيف الشيرازي وأحمد بن عبد الرحمن الشيرازي والحافظ الشيرازي ومشرف بن مصلح الشيرازي والاصطخري الشيرازي وابن ضياء الشيرازي وقطب الدين بن مسعود الشيرازي وغياث الدين بن منصور الشيرازي وغيرهم كثير .

[١٥] بُخَارَى

▪ تقع بخارى في غرب جمهورية أوزبكستان الحالية والتي تقع في آسيا الوسطى ، واسم بخارى يقال أنه اشتُق من كلمة « بخار » المغولية ومعناها العلم الكثير ، وذلك لكثرة العلماء بها .

▪ وبخارى قديمة من قبل الميلاد ، فقد وُجدت في عهد الدولة الأكمينية الإيرانية (٥٥٣- ٣٣٠ ق . م) ثم استولى عليها الإسكندر الأكبر ، ثم بعد ذلك صارت بخارى تابعة لدولة الباختريين ، ثم استولى عليها الترك بعد القرن السادس الميلادي ، ثم تلاهم الصينيون في القرن السابع الميلادي ، وظلّت بخارى تابعة للصينين إلى عهد الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك (٦٨ - ٩٦ هـ / ٧٠٥ - ٧١٥م) عندما أمر الحجاج بن يوسف الثقفي وزير الخليفة قائده قتيبه بن مسلم الباهلي بفتح بلاد ما وراء النهر ، فسار إليها وتمكن من فتح بخارى سنة (٩٠هـ / ٧٠٩م) فعمل قتيبه بن مسلم على توطيد أقدام المسلمين بها ، وبنى بها مسجداً ودعا أهلها إلى الإسلام ، ومنذ ذلك الحين أصبحت بخارى تابعة للخلافة الإسلامية .

▪ وبعد الفتح الإسلامي لبخارى ذاع صيت كثير من العلماء فيها والأدباء والفضلاء ، وكثرت في بخارى الآثار العلمية والعمرانية والفنية إلى أن استولى عليها السلاجقة فأسهموا في جعل بخارى أكثر اتساعاً وأزهى

حضارة وأغزر ثقافة وعلماً وفناً .

■ ثم استولى عليها جنكيز خان سنة (٦١٦هـ / ١٢١٩م) فخربها وهدم كثيراً من صروحها الحضارية ، وأحرق مكتبتها ، ثم استولى عليها تيمور لنك سنة (٧٨٥هـ / ١٣٨٣م) وظلّت على حالها حتى أعاد حكام الأوزبك بناءها وجعلوها عاصمة لدولتهم سنة (٩١١هـ / ١٥٠٥م) ، ثم استولى عليها الإيرانيون وظلت تحت حكمهم حتى استولى عليها الروس سنة (١٣٣٦هـ / ١٩١٨م) وحين قام النظام الشيوعي سنة (١٣٤٢هـ / ١٩٢٣ م) في روسيا صارت ضمن جمهوريات الإتحاد السوڤيتي السابق حتى انهياره سنة (١٤١٢هـ / ١٩٩١م) فصارت إحدى مدن جمهورية أوزبكستان المستقلة .

■ ينتسب إلى بخارى كثير من العلماء والفقهاء والمحدثين على رأسهم جميعاً الإمام محمد بن إسماعيل البخاري صاحب كتاب الجامع الصحيح المعروف بصحيح البخاري ، أصحّ كتاب بعد كتاب الله تعالى ، ومنهم أيضاً ابن سينا الحكيم البخاري الفيلسوف والطبيب ، وأبو حفص عمر بن منصور البخاري المعروف بالبزّار والحافظ أبو زكريا عبد الرحيم بن نصر البخاري ، وأبو العباس المقدسي الحنبلي ، كما ينتسب إليها كثير من الأدباء والشعراء المعروفين مثل الرودكي ، وفاضل البخاري ، وعمعق البخاري ، والخجندي ولطف الله النيسابوري، وأحمد الكراماني وغيرهم .

■ كما تشتهر بخارى بإنتاج الفاكهة وبخاصة البرقوق البخاري المعروف ، الذي ترجع شهرته إلى أكثر من ألف عام ، كما عرفت بخارى

بأنها سوق رئيسي تلتقي فيه تجارة الصين وآسيا الغربية ، كما تشتهر بإنتاجها للحرير والقطن وصناعة السجاد والمصنوعات الفضية والذهبية ومناجم النحاس فيها ، كما أن لها تراثاً معمارياً عظيماً .

[١٦] صَنْعَاءُ

■ عاصمة الجمهورية اليمنية الحالية .

■ تقع صنعاء على خط عرض ٢٣,١٥° شمالاً ، وخط طول ٤٤,١٢° شرقاً .

■ وأصل كلمة صنعاء من صنع التي تعني القوة والمنعة والتحصن في اللغة اليمنية القديمة .

■ ويعود تاريخ صنعاء إلى عهد « هلك آمر بن كرب » ملك سبأ وذي ريان الذي عاش في القرن الأول الميلادي .

■ وفي حوالي سنة ٥٣٠م ظهر أبرهة الحبشي صاحب الفيل ، والذي أراد هدم الكعبة المشرفة في السنة التي ولد فيه رسول الله ﷺ بعد سقوط الملك اليهودي ذي نواس الذي اضطهد النصارى في صنعاء ، وجعل أبرهة صنعاء مقراً للوالي الحبشي بعد أن انتصر علي منافسه أرياط ، وقد بنى أبرهة كاتدرائية مسيحية عرفت بالقليس .

■ وكان أهل اليمن من أوائل الذين آمنوا بالرسول ﷺ ونصروه ، كما كان لأهل اليمن الأثر الكبير في نشر الدعوة الإسلامية خارج الجزيرة العربية ، وذلك بعد الفتح الإسلامي لليمن .

■ ولكن صنعاء وقعت بها فتنة لمحاولة فصلها عن الدولة الإسلامية ، وذلك بعد موت الرسول ﷺ ، ثم تمكنت دولة الخلافة من ردّها إلى الدولة الإسلامية فسادها السلام .

■ ولقد خرج بعض أهل صنعاء مشاركين جيش الفتح الإسلامي ، جيش عمرو بن العاص ، واستقر عدد كبير من المجاهدين ومن القبائل اليمنية في بلاد الشام وفي مختلف أقطار العالم الإسلامي .

■ تعرضت صنعاء إلى هجمات أجنبية فيما بعد منها الهجمات الصليبية والمغولية ، ثم الهجمات البرتغالية والهولندية والبريطانية ، ولكن قوات صلاح الدين في القرن السادس الهجري ثم قوات المماليك فيما بعد استطاعت التصدي للهجمات الصليبية والمغولية والوصول إلى مدخل البحر الأحمر من أجل حمايتها ، ثم أعلنت اليمن فيما بعد ولاءها للدولة العثمانية في عصر السلطان العثماني سليم الأول ، ثم خضعت اليمن للحكم المصري في عهد والي مصر محمد علي باشا .

■ ثم استمرت اليمن لسنوات طويلة في مرحلة صراعات دولية بين الدول الأوروبية والدولة العثمانية إلى أن احتلت القوات البريطانية عدن في القرن التاسع عشر ، واستمر الشعب اليمني تحت وطأة هذا الاحتلال والصراعات الدولية ، والقيام بالثورات العديدة ، وفي أول القرن العشرين انضمت اليمن والتي كانت تعرف باسم المملكة المتوكلية اليمنية إلى هيئة الأمم المتحدة ، ثم انضمت إلى جامعة الدولة العربية في منتصف القرن العشرين ، ثم ألغيت الملكية وأُعلنت الجمهورية عام ١٩٦٢م .

■ ولقد انتسب إلى صنعاء جماعة من العلماء والفقهاء والأدباء والشعراء ولم يزل بصنعاء دوماً عالم مجتهد وفقيه أصولي وأديب شاعر أصيل ، ففي صنعاء وضع عبيد بن شريه قصصه التاريخية التي بسببها استدعاه الخليفة معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما إلى بلاطه ، وكان وهب بن

منبه المشهور والذي توفي بصنعاء قد اعتبره أهلها حجة في القرآن الكريم ، ومنهم الإمام الحافظ عبد الرّزّاق الصنعاني صاحب المصنف الشهير بمصنف عبد الرّزّاق ، وولد بها العالم الموسوعي الحسن بن أحمد الهمداني ، وعلقمة بن ذي جدن ، ووضاح اليمن وعبد الخالق بن أبي الطلح الشهابي من الشعراء وغيرهم .

[١٧] حَمَاة

■ مدينة بجمهورية سورية الحالية .

■ تقع حماة عند خط عرض ٣٥ْ شمالاً ، وخط طول ٣٧ْ شرقاً .

■ وتتميز حماه بهوائها المعتدل وقلة الرطوبة ، وفي فصل الربيع –أعدل فصول العام فيها – يزداد هواؤها اعتدالاً ، وتنتعش النفوس وتزهو المناظر بالزهور .

■ ويرجع تاريخ حماه إلى ما قبل الميلاد عندما تغلّب الحيثيون على سكان سوريا الأصليين من الآرميين ، ثم استطاع تحتمس الثالث ملك مصر في عام ١٧٠٠ قبل الميلاد من ضم سورية ومعها حماة إلى مملكته .

■ وفي حدود ١٠٠٠ عام قبل الميلاد دخلت حماة تحت مُلك نبي الله داود عليه الصلاة والسلام ، ثم كانت حماه فيما بعد تابعة لبني إسرائيل فترة وتكون مستقلة فترة أخرى ، وظل الأمر كذلك حتى قضى بختنصر ملك بابل على بني إسرائيل ، واستولى على بلادهم وساقهم سبايا وعسكر حول حماة ، ثم دخلت حماة تحت سلطان الإسكندر الأكبر عندما قدم الشام ، ثم ظلّت حماة من عام ٣٣٢ إلى عام ٦٢ قبل الميلاد يتعاقب عليها عمال المملكة اليونانية ثم مرت بفترة طويلة من الحروب والاضطرابات .

■ ثم دخلت حماه عام ٦٤م تحت سيطرة الرومان ، ومما يذكر أن حماة انتعشت في عهد الرومان وازدهرت وكثر سُكّانها وأنشأ أهلها النواعير على نهر العاصي ليستفيدوا من الماء فيجري في الأمكنة المرتفعة ، وكثرت

العناية بزراعة الزيتون .

■ ثم تمكن الصحابي الجليل أبو عبيدة بن الجراح ﷺ من فتح حماة عام ١٨هـ فصالح أهلها على الجزية وذلك بعد فتح حمص ، وظلت حماة بعد ذلك تابعة للخلفاء الراشدين ثم الأمويين ثم العبّاسيين .

■ ثم توالت الأحداث على حماة بهجوم القرامطة سنة ٢٩١هـ عليها بقيادة رئيسهم أبي شامة فقتل أهلها وأطفالها ، وفعل مثل ذلك في بعض مدن الشام الأخرى إلى أن أرسل إليهم المكتفي العباسي جيشاً عظيماً فأعمل القتل في القرامطة وقبض على أبي شامة فأمر الخليفة بقتله في بغداد .

■ وفي عام ٥٢٣هـ دخل عماد الدين زنكي حماه وتسلمها بلا حرب واستمرت حماه تحت ملك عماد الدين زنكي حتى توفي عام ٥٤١هـ فدخلت حماه تحت ملك انبه المجاهد نور الدين محمود .

■ ثم وقع زلزال مدمر في حماة عام ٥٥٢هـ في شهر رجب فتهدمت قلعتها وأسوارها ، ولكن نور الدين محمود سرعان ما أعاد بناءها على أحسن ما يكون من القوة والجمال وبنى أسوارها وأعاد قلعتها وبنى الجامع المعروف وبجانبه البيمارستان النوري .

■ ثم دخلت حماة عام ٥٧٠هـ في حوزة صلاح الدين الأيوبي وقد حاصرها الصليبيون عام ٥٧٣هـ ولكن صلاح الدين تمكن من حفظها من أيديهم ، ثم حاصروها عام ٥٩٩ هـ مرة أخرى، ولكن المنصور ملك بعرين -بمساعدة ملك بعلبك - تمكن من صدهم .

■ وفي عام ٦٥٧ هـ دخل التَّتار حماة من جملة ما دخلوه من بلاد

المسلمين إلى أن تمكن الملك المظفر قطز من طرد التتار منها بعد انتصاره عليهم في موقعة عين جالوت .

■ وفي عام ٧٤٥ هـ هطلت الأمطار الغزيرة ففاض نهر العاصي وأغرق البيوت ووقع الطاعون الجارف الذي فتك بالناس ، ثم دخلها تيمور لنك عام ٨٠٣هـ ثم دخلت حماه بعد ذلك في عام ٩٢٢هـ تحت سيطرة السلطان العثماني سليم الأول ، ثم إلى ماهي عليه الآن .

■ عُرفت حماه على مرّ التاريخ بالأسوار والقلاع العظيمة والجسور والنواعير والمساجد ، والحمامات والطواحين والبيمارستانات .

■ كما كانت لحماة مكانة علمية عظيمة فقد نبغ فيها العديد من العلماء والأدباء والشعراء والمشاهير ، فمن العلماء الشيخ العلامة جمال الدين محمد بن سالم بن واصل الذي نبغ في أصول الدين والفقه والفلك والتاريخ والمنطق والهندسة ، والشيخ شرف الدين عبد العزيز الأنصاري المعروف بشيخ الشيوخ وابن خضر بن قسيم الحموي من الشعراء المجيدين ، ومن النحاة تاج الدين محمد بن هبة الله البرمكي الحموي ومن المؤرخين جمال الدين بن بركات الحموي ومن الجغرافيين والمؤرخين الرحّالة المشهور ياقوت الحموي صاحب كتاب معجم البلدان ومن علماء الشريعة المعدودين محمد بن المظفر الحموي وابن رزين الحموي وإبراهيم بن أبي الدم وابن الفقيه إبراهيم بن نصر بن طاقة وابن سعد الله وغيرهم .

[١٨] إشبيلية

■ إشبيلية مدينة أندلسية تسمي الآن « **Sevilla** » بأسبانيا الحالية .

■ وهي تقع في الجنوب الغربي من قرطبة على مسيرة ٦٠ ميلاً من ساحل المحيط الأطلسي .

■ والاسم القديم لإشبيلية هو إشبالي وهي كلمة من أصل إيبيري ، ثم تحول هذا الاسم إلى اسم لاتيني هو « **Hispalis** » بعد أن افتتحها الرومان عام ٢٠٥ قبل الميلاد ، ثم عُرِّب هذا الاسم إلى إشبيلية ، ثم اشتق الأسبان فيما بعد الاسم الحالي « **Sevilla** » .

■ أسسها الإيبيريون أولاً ثم تطورت في عهد الفينقيين والإغريق القرطاجنيين ، وأصبحت إشبيلية مركزاً تجارياً مهماً .

■ وفي عام ٤٠٩م ، غزت قبائل الوندال أسبانيا ، ثم غزاها فيما بعد القوط الغربيون ، واستقرّ فيها ملوك القوط وجعلوها حاضرة لهم .

■ ولما تم الفتح الإسلامي للأندلس وارتفعت أعلام الإسلام على الأندلس تم فتح إشبيلية فيما بعد ، بعد حصار دام عدة شهور لحصانة أسوارها ومناعتها ، ثم اختارها موسى بن نصير حاضرة للأندلس لوقوعها على البحر ، وارتباطها بطرق مع سائر المدن الأندلسية الأخرى .

■ لم يستمر بها الازدهار طويلاً لتحول العاصمة إلى قرطبة عام (٩٨هـ / ٧١٧م) ، ثم أصبحت الأندلس كلها مسرحاً للفتن والاضطرابات

عندما تولدت الصراعات بين الولاة الأمويين حتى جاء عبد الرحمن بن معاوية فأنقذ الأندلس من تلك الفتن وقضى على مظاهر الفوضى المستحكمة ، وصارت الأندلس دولة واحدة .

■ اتبع المسلمون بعد الفتح الإسلامي لإشبيلية سياسة التسامح مع النصارى فدخل عدد كبير من النصارى في الإسلام .

■ ولما اعتلى عبد الرحمن بن معاوية ملك قرطبة عام ١٥٨هـ/ ٧٧٥م) تمتعت إشبيلية في عهده وكذلك في عهد من خلفه من بني أمية بازدهار شامل في جميع نواحي الحياة ، وأقيم فيها عدد من المنشآت العظيمة .

■ وفي عهد الأمير عبد الله بن محمد خرجت إشبيلية عن إمارة قرطبة لها واستبد إبراهيم بن حجاج أحد زعماء المدينة بإشبيلية ، واستمر بنو حجاج يحكمون إشبيلية حتى تولى عبد الرحمن بن محمد إمارة قرطبة ، فقضى على بني حجاج ورجعت إشبيلية إلى فلك قرطبة مرة أخرى .

■ ولما قام ملوك الطوائف في الأندلس بعد سقوط الخلافة في قرطبة استولى ابن عبّاد على مقاليد الأمور بإشبيلية عام (٤٣٣هـ / ١٠٤٢م) وجعلها بنو عبّاد حاضرة لمملكتهم الصغيرة ، وفي الحقيقة شهدت إشبيلية في عصرهم ازدهاراً لم تشهده من قبل .

■ ثم توالى على إشبيلية عدد من خلفاء الموحدين الضعاف لم تنل إشبيلية تقدماً إلا في عصر واحد منهم هو أبو العلاء إدريس بن أبي يوسف المنصور (٦١٤هـ / ١٢١٨م - ٦٢٦هـ / ١٢٣٠م) الذي حاول أن يعيد لإشبيلية سالف مجدها .

■ وبموت أبي العلاء إدريس دخلت جيوش قشتالة إشبيلية بعد حصار

استمر ١٧ شهراً ، وبذلك ضاعت درة أخرى من درر الأندلس الإسلامية حتى اليوم ، وكان سقوط إشبيلية عام (٦٤٣هـ / ١٢٤٦م) .

■ تمتعت إشبيلية كغيرها من مدن الأندلس العظيمة بتقدم هائل في مجال العمارة الإسلامية وزراعة الفواكة وصيد البر والبحر ، وبها الكثير من العسل والتين الجاف والزيتون والقطن ، وكانت أسواقها عامرة بكل صنوف الخيرات .

■ وتُعد إشبيلية مركزاً من مراكز الثقافة الأندلسية العريقة والا تزال لليوم يقصدها الباحثون من سائر البلاد ، لا سيما أمريكا .

■ وينتسب إلى إشبيلية علماء كثير من شتى العلوم ، ففي العلوم الشرعية أبو عبد الله بن عمر الإشبيلي ، وأبو بكر الزبيدي ، وفي مجال الطب اشتهر بنو زهر وغيرهم ، وفي مجال الزراعة أبو العباس بن الخليل المعروف بابن الرومية ، وابن العوام الإشبيلي وغيرهم .

[١٩] أصفهان

- تقع أصفهان في جمهورية إيران الحالية بين طهران وشيراز .
- يسكنها اليوم نحو مليون نسمة .
- وأصفهان تُعد الأكثر ثراءً في التاريخ والعمارة من بين المدن الإيرانية جميعاً .
- يعود تاريخ أصفهان إلى نحو خمسمائة عام قبل الميلاد، عندما قام الملك ساويروس أول ملوك الأكامانيديين ، وقد نشأت الإمبراطورية الفارسية الأولى في عهد خلفاء هذا الملك ، وكان اليهود الأوائل الذين تحرّروا من الأسر البابلي قد استقروا في أصفهان .
- وفي عام (١٩ هـ / ٦٤٠م) فتح المسلمون أصفهان وشهدت المدينة بعد ذلك فترات من الازدهار ، ولما ضعفت الخلافة الإسلامية في نهاية القرن العاشر الميلادي ، نشأت في أصفهان سلالات حاكمة محلية نتيجة التجمعات الأسرية ، فكان غرب إيران يسيطر عليه الديلميون ، والذين انقسموا بدورهم إلى البويهيين والكاكويين .
- وفي حوالى عام (٤٥٠هـ / ١٠٥٧م) أصبحت أصفهان تحت سيطرة السلاجقة ، فجاءت فترة من الازدهار شهدتها أصفهان ثم تتها فترة من الضعف ثم تحولت أصفهان فصارت تحت سيطرة المظفريين ابتداء من عام (٧٥٤هـ / ١٣٥٤م) ثم جاء العهد الصفوي في أواخر القرن السابع عشر الميلادي .

■ تميزت أصفهان عبر العصور بكثير من المعالم الحضارية كفن العمارة من إقامة الجسور والقصور والمساجد والحدائق ، كما لعبت أصفهان دوراً مهماً في تاريخ الفكر الإسلامي والعربي منذ دخولها الإسلام في خلافة عمر بن الخطاب ﷺ ، فكانت مركزاً من مراكز الحركة العلمية والأدبية في العالم الإسلامي .

■ كما نبغ في أصفهان جماعة كثيرة من العلماء في كل علم وفن ، لا سيما الحفاظ ورجال الحديث ، وممن لمعوا في سماء أصفهان من أئمة الحديث ابن حيّان الأصفهاني وجمال الدين الجواد الأصفهاني الوزير ، وعماد الدين الكاتب الأصفهاني ، ومن المفسرين محمد بن بحر الأصفهاني ومن المؤرخين ابن حمزه بن الحسين الأصفهاني ، والحسن بن عبد الله الأصفهاني ، ومحمد بن داود الأصفهاني ، وأبو الفرج الأصفهاني من الأدباء واللغويين ، ومن الفلكيين الخجندي .

[٢٠] حلب

■ تقع حلب في جمهورية سوريا الحالية بين خطي طول ٣٦° و ٣٩° شرقاً ، وخطي عرض ٣٥° و ٣٧° شمالاً .

■ وحلب مدينة قديمة جداً ، وقيل في سبب تسميتها « حلب الشهباء» : إن نبي الله إبراهيم عليه السلام عند مروره من بلاد ما بين النهرين « العراق » إلى كنعان حلب بقرة شهباء على التلّ الذي أُقيمت عليه قلعة حلب ، فكان أهل القرية يقولون : إن إبراهيم حلب الشهباء .

■ وكانت حلب في القديم برية قفراء خالية من الأشجار ، ثم راجت فيها التجارة رغم ذلك ، حتى صار أهلها على جانب كبير من الغنى والثروة .

■ وفي عهد الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه تم دخول حلب في الدولة الإسلامية الكبرى ، حيث أمر عمر رضي الله عنه أن يخرج أبو عبيده بن الجراح رضي الله عنه إلى بلاد الشام ، فسار أبو عبيدة حتى أتى حلب وكانت ذات قلعة وأسوار وحصون منيعة ، فحاصرها أبو عبيدة خمسة أشهر ، ثم كتب إلى عمر رضي الله عنه يستأذنه في الانسحاب عن الحصار ، فأجابه أن يقيم عليها ولا يبرحها حتى يفتحها ؛ لئلا يستخف به العدو ، وبعث مدداً من الرجالة والفرسان ، فتمكنوا بعد فترة بحيلة من الوصول إلى القلعة وقتل بعض الحراس الذين كانوا سكارى وفتح الأبواب فدخلها المسلمون عام (١٤هـ / ٦٣٦م) .

■ ولقد نالت حلب استقراراً نسبياً خلال فترة خلافة الأمويين ، ولكن حلب في خلافة العباسيين وقعت في منطقة الصراع بين العباسيين والطولونيين ، وظلت كذلك حتى حكم بني حمدان للشام ، وأعلن سيف الدولة الحمداني حلب عاصمة ملكية لدولة بني حمدان ، الذين كانوا يوالون الدولة العباسية ، وبعد وفاته تولّي حكم حلب ابنه أبو المعالي شريف ، فأصلح أحوالها وزاد عمارتها ، إلى أن جاء غزو البيزنطيين لها في القرن العاشر الميلادي فأعملوا فيها الخراب ، وكذلك في عهد الفاطميين ، ثم دخلت تحت سيطرة السلاجقة ، ثم غزاها الصليبيون ، وجعلوا من المناطق المحيطة بحلب خراباً ، وسدّوا منافذ الطرق التجارية الموصلة إليها .

■ ثم استخلصها عماد الدين زنكي وردّ الصليبيين على أعقابهم ، وشهدت حلب في عهد عماد الدين نمواً اقتصادياً وعمرانياً كبيراً ، ولم تهنأ حلب بهدنة بعد ذلك بفترة فقد كانت عرضة لهجمات الصليبيين ، وحاصروها مرات ولكن لم ينالوا غرضهم ، حتى أتى فيضان النهر بغتة فأضرّ بمعسكرهم فانسحبوا عنها إلى إنطاكية .

■ ثم وقعت بها زلازل عام (٥٣٣هـ - ١١٣٩م) ، (٥٦٥هـ / ١١٧٠م) فهدمتها ثم أُعيد ترميمها .

■ ثم دخلت حلب تحت سلطان صلاح الدين الأيوبي ، ثم انتقلت إلى دولة المماليك ، ثم دخلها التتار بقيادة تيمور لنك ، فهرب سكانها وازدحموا على الأبواب ومات منهم خلقٌ كثير ، والعدو وراءهم يقتل ويأسر وخرَّب المدينة ، وحرَّق جوامعهم ومدارسهم وبيوتهم .

■ ثم دخلت حلب تحت سلطان الدولة العثمانية فأُعيد عمرانها ورجع

إليها استقرارها ، وأخذت المدينة في الازدهار والتقدم من جديد وأصبحت – كما كانت – مركزاً مهماً للتجارة ومفتاحاً لدخول آسيا ، واستمرت سلطة الدولة العثمانية على حلب نحو أربعة قرون تخللها احتلال إبراهيم باشا لحلب (١٢٤٦هـ / ١٨٣١م) – (١٢٥٥هـ / ١٨٤٠م) ، ثم انتهى حكم العثمانيين مع نهاية الحرب العالمية الأولى ، وفرض الانتداب الفرنسي على سورية ومنها حلب ، وظل أهل سوريا يقاومون هذا الانتداب حتى تم في عام (١٣٦٥هـ / ١٩٤٦م) جلاء القوات الفرنسية والإنجليزية وانتهى الانتداب بعد معارك طاحنة .

■ اشتهرت حلب على مر العصور بمجموعة من المعالم الأثرية التي يعود تاريخها إلى فترات قديمة كالقلعة والمسجد الأموي ، كما برز بها جماعة من العلماء في شتى العلوم .



فهرس الكتاب



الفهرس